**الأستاذة المشرفة على المقياس : بن عيسى خيرة**

**مقياس الفرق الكلامية : ( مح + تط )**

**السّنة الدّراسيّة 2020- 2021**

**المستوى : ماستر 1/ تخصص فلسفة عربية إسلامية .**

**المحاضرة الثانية : فرقة الخوارج**

أشرنا في خلال المحاضرات السابقة إلى تعريف علم الكلام وأسباب تسميته وأهم الآراء الواردة في ذلك ، ثم تطرقنا تفصيلا إلى أسباب النشأة الداخلية منها والخارجية ، ومن ثمة تكلمنا عن أطوار علم الكلام أو المراحل التي مر بها هذا العلم ، من مرحلة البوادر والإرهاصات إلى مرحلة النشأة والتكون وصولا إلى مرحلة الذروة والبلوغ مع المعتزلة و الأشاعرة ، خاصة من القرن الثاني للهجرة إلى القرن الرابع للهجرة ، وأشرنا كذلك إلى المرحلة التي تراجعت فيها المعتزلة في عهد الخليفة المتوكل ، ثم عرجنا في محاضراتنا على المرحلة التي منع فيها الكلام في العقائد وأعيد الأمر إلى أهل السنة والجماعة في بداية القرن الخامس للهجرة مع الصحيفة القادرية التي وضعها الخليفة العباسي القادر بالله ، " إذ تدخلت الحكومة في أوائل القرن الخامس الهجري نوعا من التدخل الرسمي لفض المنازعات المذهبية، ففي عام 408 من الهجرة (-1017 من الميلاد) أصدر الخليفة القادر كتابا ضد المعتزلة ، يأمر فيه بترك الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والمقالات المخالفة للإسلام ، وأنذرهم إن خالفوا أمره بحلول النكال والعقوبة ..."[[1]](#footnote-2).

وانتهينا بالكلام عن المرحلة التي اختلط فيها علم الكلام بالفلسفة ، ليصبح هذا العلم في النهاية مجرد جدل بسيط حول بعض المفاهيم والاستدلالات ، وهي مرحلة التراجع والذبول التي تلت هجوم البعض على الفلسفة والمنطق وخلطهما بعلم الكلام ، الذي مثله ابن تيمية ( توفي 750) خاصة وتلميذه ابن القيم الجوزية (توفي 751).

كما تطرقنا في الأخير إلى الكلام عن ما يسمى بعلم الكلام الجديد أو تجديد علم الكلام ، لكننا لم نٌفصل في المسالة لغرض التطرق إليها في المحاضرات الأخيرة في نهاية السداسي بعدما نفرغ من الفرق الكلامية والمسائل الكلامية الكبرى عند المتكلمين ، وعلى رأسها التوحيد و كلام الله ومسألة الصفات.

وفيما يلي نعرض لكبرى الفرق الإسلامية التي كان لها الدور الأساسي في نشأة الحركة الفكرية الكلامية والتي بلغت ذروتها مع المعتزلة . وتفصيل ذلك فيما يلي :

الخــــوارج :

بداية يشير الكثير من المؤرخين لتاريخ الفرق الكلامية في كلامهم عن الخوارج إلى حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي نبأ فيه بالخوارج ، والروايات في هذا الشأن كثيرة يجملها ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ، نذكر منها على سبيل الاختصار لا الحصر ما يلي : " قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة حدثنا الأوزاعي حدثنا قتادة عن أنس بن مالك وأبي سعيد – قال أحمد : وقد حدثنا أبو المغيرة فقال : عن أنس عن أبي سعيد ، ثم رجع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (( سيكون في أمتي اختلاف وفٌرقة ، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه ، هم شر الخلق والخليقة ، وطوبى لمن قتلهم أو قتلوه ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء ، من قاتلهم كان أولى بالله منهم )) ، قالوا : يا رسول الله ما سيماهم ؟ قال : ( التحليق )"[[2]](#footnote-3) .

وإلى جانب هذا الحديث هناك أحاديث كثيرة ومسترسلة في ذكر الخوارج وصفاتهم وأحوالهم والتي تطابقت مع تاريخهم ، إلا أن الخوارج ينكرون ثبوت تلك الأحاديث في حقهم ، وهم يرفضون أن ينعتوا بالمارقة ، وهذا الاسم الأخير من بين ما سميت به الخوارج إضافة إلى الشرَّاة و الحارورية المحكمة الأولى.

**أسماء الخوارج :**

**أ-الخوارج :** سموا بهذا الاسم لأنهم أول من خرج من المسلمين عن جيش علي في حرب صفين عندما قبل التحكيم ، و الرواية :"اختلف أصحاب علي عليه ، وقالوا : قال الله تعالى : ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ ﴾[[3]](#footnote-4) ، ولم يقل حاكموهم وهم البغاة ، فإن عدت إلى قتالهم وأقررت على نفسك بالكفر إذ أجبتهم إلى التحكيم ، وإلا نبذناك وقاتلناك ، فقال علي رضوان الله عليه !- قد أبيت عليكم في أول الأمر فأبيتم إلا إجابتهم إلى ما سألوا ، فأجبناهم وأعطيناهم العهود والمواثيق ، وليس يسوغ لنا الغدر فأبوا إلا خلعه و اكفاره بالتحكيم ، وخرجوا عليه فسموا خوارج ، لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب رضوان الله عليه "[[4]](#footnote-5).

**ب -الشرَّاة:** في رواية الشرَّاة من تشرى أي خرج ، وفي هذا يقول البغدادي :" واختلفوا في أول من تشرَّى (أي خرج) منهم فقيل عروة بن حذير..." ، وفي رواية أخرى وهي المشهورة :" وقد سموا أنفسهم الشراة ، وهو أحب الأسماء إليهم ، لقولهم إنا شَرينا أنفسنا في الله ، أي بِعْنَاها بثواب الله والجنة ، أخذا من قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (سورة البقرة الآية 207 ): و من قوله سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة التوبة الآية 111) " [[5]](#footnote-6).

**ج -الحارورية أو الحارورائية :** يقال أنهم ؛ أي الخوارج عندما خرجوا عن جيش علي رضي الله عنه اتجهوا إلى مكان بالكوفة يسمى حاروراء ، فسموا بذلك الاسم نسبة إلى المكان الذي عسكروا فيه :"ثم إن الخوارج بعد رجوع علي من صفين إلى الكوفة انحازوا إلى حاروراء ، وهم يوم إذ اثنا عشرة ألفا ، ولذلك سميت الخوارج حارورية "[[6]](#footnote-7) .

**د -المحكمية أو المحكمة الأولى :** يرجح القول في تسميتهم كذلك إلى قولهم المشهور " لا حكم إلا لله"، ومن ذلك رواية ابن كثير في البداية والنهاية ، إذ يقول : "...وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل طوائف من أصحاب علي من القراء وقالوا : إن الحكم إلا لله ، فسموا المحكمية "[[7]](#footnote-8).

**هـ -المارقة :** "...وأطلق عليهم أيضا اسم المارقة لما ورد في الحديث الصحيح عن الرجل الذي اعترض على قسمة النبي صلى الله عليه وسلم أنه يخرج من نسله قوم : ((...يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية )) ، وقد رضي الخوارج بتلك الأسماء كلها ما عدا اسم ( المارقة ) فإنهم لا يقبلون التسمية به ويعتبرونها ذما هائلا وانتقاصا شديدا ، حتى إنهم يرون أن هذه التسمية كذب لأنهم يطلقون على أنفسهم (( أهل الحق )) "[[8]](#footnote-9).

**بيان فرق الخوارج** :

يذكر البغدادي في تصنيفه للفرق " أنّ الخوارج عشرون فرقة وهذه أسماؤها : المحكّمة الأولى ، الأزارقة ، النجدات ، الصّفرية ،ثمّ العجاردة المفترقة فرقا منها : الخازمية ، والشعيبية ، والمعلومية ، والمجهولية ، وأصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها ، والصلتية ، والأخنسيّة ، والشّيبية ، والشّيبانيّة ، والمعبدية ، والرشيدية ، والمكرمية ، والخمرية ، والشمراخية ، والأبراهمية ، والواقفة ، والأباضية منهم افترقت فرقا معظمها فريقان : حفصية ، وحادثية ، فأمّا اليزيدية من الأباضية ، والميمونية من العجاردة فإنهما فرقتان من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الأمة "[[9]](#footnote-10).

**أسباب نشأة فرقة الخوارج :**

لا يوجد اختلاف كبير بين المؤرخين لتاريخ الفرق الكلامية حول أسباب نشأة فرقة الخوارج ، فكلها تتفق على أنها الفرقة التي خرجت عن جيش علي في حرب صفين عام 37 للهجرة ، عندما قيل التحكيم ، ويمكن أن نوجز الروايات كلها فيما يلي: ما هو معلوم وكما بينا في المحاضرات السابقة أن الاختلاف بين المسلمين كان موجودا قبل ظهور الخوارج بزمن ، إذ اختلف المسلمون في مسائل فقهية كثيرة استلزمت الرأي والاجتهاد (أنظر المحاضرات السابقة).

واختلفوا كذلك في من يؤم المسلمين بعد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، وهدا اختلاف سياسي محض ،"اختلفوا في الإمامة وأذعنت الأنصار إلى البيعة لسعد بن عبادة الخزرجيّ ، وقالت قريش: إن الإمامة لا تكون إلا في قريش ، ثم أذعنت الأنصار لقريش لما روي لهم قول النبي – عليه السلام-((الأئمة من قريش))..."[[10]](#footnote-11) ، وانتهت المسألة بأن تولى أبو بكر الخلافة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم تلاه عمر وبعده عثمان وآخرهم كان علي رضي الله عنهم جميعا .

كان زمن عثمان زمن فتن ظهرت فيه الكثير من الخلافات والبدع ، وبعد قتله تولى علي رضي الله عنه الخلافة بعدما بايعه غالبية المسلمين ، لكن هناك من رفض المبايعة ومثل هذا الفريق أهل الجزيرة والعراق فيما يروى وكان على رأسهم معاوية ابن عم عثمان وطلحة بن عبد الله بن عثمان والزبير بن العوام ، ذلك أن معاوية طلب الاقتصاص لدم عثمان أولا ، ثم يبايعه على الخلافة ، فكان لعلي حينها رأي مخالف إذ طلب من معاوية المبايعة أولا والانتظار حتى يستتب الأمر وتهدأ الأوضاع ثم الاقتصاص لدم عثمان ، فنشأ بينهما خلاف أسفر عن حرب بينهما سميت واقعة أو حرب الجمل في الخريبة بالبصرة ، قتل فيها طلحة والزبير وأرسلت عائشة أم المؤمنين على الهودج .

بعدها عزم كل من علي ومعاوية على إخضاع الآخر ، فحدث ذلك في حرب شديدة بين المسلمين سميت حرب صفيين انتهت بواقعة التحكيم المشهورة :" ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها على التحكيم ، وهو أن يحكم كل واحد من الأميرين علي ومعاوية رجلا من جهته ، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة للمسلمين "[[11]](#footnote-12)، هذا ويذكر أبو الحسن الأشعري الرواية بكثير من التفصيل فيقول :" قال فأُمر بالمصاحف فتُرفع ، ثم يقول أهل الشام لأهل العراق : يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم ، البقية البقية ، فإنه إن أجابك إلى ما تريده خالفه أصحابه ، وكان عمر بن العاص في رأيه الذي أشار به كأنه ينظر إلى الغيب من وراء حجاب رقيق ، فأمر معاوية أصحابه برفع المصاحف وبما أشار به عليه عمر وبن العاص ، ففعلوا ذلك ، فاضطرب أهل العراق على علي - رضوان الله عليه- وأبوا عليه إلا التحكيم ، وأن يبعث علي حكما ويبعث معاوية حكما ، فأجابهم علي إلى ذلك بعد امتناع أهل العراق عليه ألا يجيبهم إليه . فلما أجاب علي إلى ذلك ، بعث معاوية وأهل الشام عمر وبن العاص حكما ، وبعث عليّ وأهل العراق أبا موسى حكما وأخذ بعضهم على بعض العهودَ والمواثيق - اختلف أصحاب عليّ عليه ، قالوا : قال الله تعالى : ( فَقَاتِلُوا التي تَبْغِي حتى تَفِي ، إلى أَمْرِ اللهِ ) ولم يقل حاكموهم ، وهم البُغَاة ، فإن عُدْتَ إلى قتالهم وأقررت على نفسك بالكفر إذ أَجَبْتهم إلى التحكيم وإلا نبذناك وقاتلناك ، فقال على- رضوان الله عليه - !- قد أَبَيْتُ عليكم في أول الأمر فأبيتم إلا إجابتهم إلى ما سألوا ، فأجبناهم وأعطيناهم العهود والمواثيق ، وليس يسوغ لنا الغدرُ ؛ فأبَوْا إلا خلعه وإكفاره بالتحكيم ، وخرجوا عليه فسُمُّوا خوارج ، لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب – رضوان الله عليه ! وصار اختلافا إلى اليوم ."[[12]](#footnote-13).

ومما سبق ذكره في الروايات أنه عند قبول علي التحكيم رفض بعض من أتباعه الذين كانوا في جيشه ذلك الأمر وخرجوا عنه فسموا منذ ذلك الحين خوارج ، وقد كان رفضهم قائما على مبدأ أن الخلافة ليست مسألة بشرية يولى الحكم فيها للبشر ، إذ "لا حكم إلا لله ".

**مبادئ الخوارج الاعتقادية :**

لم تبلغ هذه الفرقة درجة من الجدل في العقائد مقارنة بالفرق الكلامية اللاحقة عليها ، اعتبارا من أن المبدأ الذي نشأت عليه كان سياسيا خالصا متمثلا في الخلافة ، هذه الأخيرة التي طرحوها كمبدأ وليس كغاية في أن يكون الخليفة منهم ، ولذلك تجلى موقفهم في : هل الخلافة مسألة بشرية أم إلهية ؟ ؛ أي هل اختيار الحاكم يتم باختيار من البشر أم أنها مسألة إلهية منصوص عليها شرعا ؟ ، ومن ثمة ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في الحاكم ؟ ، وهل يجب بالضرورة أن يكون من قريش أم تجوز في غير قريش من عامة المسلمين ؟ **.**

سيتطور موقف الخوارج فيما بعد نحو جدل في بعض المسائل العقائدية كقولهم في الإيمان والكفر ، وهذا يؤكد كيف أن تطور الخلاف السياسي ساهم في ظهور خلاف في العقائد بتبلوره نشأ علم الكلام ، ويمكن أن نجمل مبادئهم الاعتقادية فيما يلي :

يذكر أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين : " أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، أن حَكَّمَ وهم مختلفون : هل كفره شرك أم لا ، وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النّجدات فإنها لا تقول ذلك ، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابا دائما ، إلا النّجدات ، أصحاب نجدة "[[13]](#footnote-14)

وذكر البغدادي الاختلاف الحاصل في تحديد عقائد الخوارج بين الكعبي والأشعري قائلا :" وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها ؛ فذكر الكعبي في مقالاته أن الذي يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها إكفار عليّ وعثمان والحكمين ، والإكفار بارتباك الذّنوب ، ووجوب الخروج على الإمام الجائر .

وقال شيخنا أبو الحسن : الذي يجمعها إكفار عليّ وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم ، وصوّب الحكمين أو أحدهما ، ووجوب الخروج على السلطان الجائر ، ولم يرض ما حكاه الكعبيّ من إجماعهم على تفكير مرتكبي الذنوب "[[14]](#footnote-15) .

تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المبادئ هي ما اتفق عليه كل الخوارج الأوائل واعتقدوا به ، لكنهم بعد ذلك اختلفوا فيما بينهم اختلافا شديدا وظهرت فرق كثيرة بلغ بها الأمر إلى تكفير بعضها البعض.

**قول الخوارج في الخليفة (الإمام):**

الخليفة هو الذي يؤم المسلمين بعد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو المبدأ الذي أخذت الخوارج على عاتقها ضرورة النظر فيه من حيث أن أنها ربطته بمبدأ الشرع والعقل ، واسترسلت الخوارج كثيرا في الكلام عنه ، ومناظراتهم مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وابن العباس خاصة دليل على ذلك .

ترى الخوارج أنه " لا يجب نصب الإمام لا على الله ولا على المسلمين ، لا عقلا شرعا ((ضربة واحدة)) ، واحتج الخوارج **أولا** : أن وجود الإمام في كل عصر تتوافر فيه الشروط المطلوبة متعذر .**ثانيا**:أن آراء الناس مختلفة وأهواؤهم متباينة وأحزابهم متعددة ، وهذا يستدعي إثارة الفتن والحروب،وأن التجربة تشهد ذلك ، فالأولى سد الباب ، على أنه إن أمكن أن تتحقق الكلمة على تعيين ما تجتمع فيه الشروط ، فيجوز أن ينصبوه إماما لهم ، أما الوجوب فلا مهما كانت الظروف"[[15]](#footnote-16) .

فكانت نتائج أفكارهم حول الخلافة أن وضعوا أصولا سياسية حول الخلافة والخليفة ، ومن ذلك قولهم في أن كل مسلم يمكن أن يكون خليفة فنقضوا بذلك القول بأحقية أهل البيت ، وجعلوها مفتوحة حتى على غير العرب من العجم ، فهم يقولون "بجواز الإمامة في غير قريش "[[16]](#footnote-17).

**قولهم في مرتكب الكبيرة :**

المسلم عند الخوارج إما كافر أو مؤمن ، والإيمان يستلزم عدم ارتكاب الكبائر ، أما مرتكبها فهو في عموم رأيهم يسمى كافرا ،" ويحتجون لذلك بأنه ليس في القرآن إلا مؤمن أو كافر ، وتأولوا في ذلك قوله تعالى : ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ (آل عمران 97)**،** وقوله تعالى **:﴿** **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ (آل عمران الآية 106) **"[[17]](#footnote-18).** ومن هذا المنطلق همَّ الخوارج إلى تكفير علي لاعتقادهم أنه خرج من الإيمان إلى الكفر عندما قبل التحكيم ، ومن ذلك قولهم له في حرب صفين :"**...** فإن عُدْتَ إلى قتالهم ، وأقررت على نفسك بالكفر إذ أَجَبْتهم إلى التحكيم وإلا نبذناك وقاتلناك ".

إن الخوارج في مسألة الكفر أعلنوا " أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار لا يخرج منها أبدا "[[18]](#footnote-19)،وقد نتج عن هذا القول خلاف كبير بين المسلمين خاصة في بداية القرن الثاني للهجرة ، أشهرها اختلاف المرجئة عنهم في قولهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وبذلك هم ؛ أي المرجئة لا يكفرون مرتكب الكبيرة ، وهذا الخلاف بدوره كان سببا في نشأة فرقة كلامية كبرى قالت أن مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن ولا كافر بل هو فاسق في منزلة بين المنزلتين ، إن مات ولم يتب فهو مخلد في النار وهذه الفرقة هي المعتزلة . وسيأتي بيان ذلك في المحاضرات اللاحقة .

**خلاصة :**

لا نريد التفصيل كثيرا في هذه الفرقة (الخوارج) لأنها وكما أشرنا سابقا هي فرقة سياسية بالدرجة الأولى ، وهي لم تخض في الجدل حول العقائد فهي لم تسهم بالقدر الكبير في نشاط علم الكلام ونضجه سوى أنها كانت البادرة الأولى لافتراق المسلمين إلى فرق ، ومن ذلك الوقت بدأ الاختلاف يكبر ومنه ظهرت مبادئ وأصول لكل فرقة ، فبرزت الشيعة أولا بعد وفاة علي رضي الله عنه وبعدها المعتزلة في البصرة في القرن الثاني للهجرة ، و الأشاعرة في البصرة كذلك في القرن الرابع للهجرة وهذه الفرق هي التي ساهمت بشكل أساسي في بلورة علم الكلام .

وخلاصة القول هي : إن الخوارج هي فرقة سياسية أول من لأثار مسألة الخلافة وطرحها كمسألة سياسية لا عقائدية كما اعتقد الشيعة من بعدهم ، وتجاوزهم فكرة أن الخليفة يكون من أهل البيت ، وهي الفكرة التي كانت مندسة بين بعض أولئك الذين كانوا يرون أن الخلافة في أهل البيت وظهرت بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم سكت الحديث عنها في زمن أبي بكر وعمر بن الخطاب ، لكنها عاودت الظهور في زمن عثمان وعلي رضي الله عنهما واشتدت بعد وفاة علي فظهرت فرق الشيعة وتعددت بين كيسانية وزيدية وإمامية وغلاة ، وبذلك كانت الخلافة عند الخوارج مفتوحة على عموم المسلمين من العرب وغيرهم بشروط يجب أن تتوفر في الخليفة كالاستقامة والعدل ، وقد بلغ الخوارج مرحلة من الغلو في قولهم بالتكفير حتى بلغ بهم الأمر إلى تكفير مخالفيهم بل تكفير بعضهم البعض ، ورغم ما ترتب على هذا المبدأ من فتن وبدع إلا أنه ساهم في تطور علم الكلام وكان مبعث الجدل والتساؤل بين المسلمين .

أما القول بأن الخوارج هم متكلمون ، فهذا كلام يحتاج إلى بعد نظر ، إذ لا توجد نصوص وفيرة تدل على مذهبهم ، سوى ما يؤرخ عنهم في كتب تاريخ الفرق وهو في مجمله كلام عن الخلافة والإمام والتكفير .

**مناظرة علي بن أبي طالب للخوارج :**

"... فلمّا قرب عليّ منهم أرسل إليهم عليٌّ أن سلّموا قاتل عبد الله بن خبَّاب ، فأَرسلوا إليه ، إنَّا كلّنا قتلهُ ، ولئن ظفرنا بك قتلنا ، فأتاهم عليٌّ في جيشهِ ، وبرَزوا إليه بجمعهم فقال لهم قبلَ القِتال ماذا نقمتم مني ؟ فقال له : أوَّل ما نقمنا منك أنَّا قاتلنا بين يديك يوم الجمل ، فلمّا انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ما وجدنا في عسكرهم من المال ، ومنعتنا من سبي نسائهم وذراريهم ، فكيف استحللت ما لهم دون النّساء والذّرّيّة فقال : إنما أبحت لكم أموالهم بدلا عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومي عليهم ، والنّساء والذّرّيّة لم يقاتلونا ، وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الإسلام ، ولم يكن منهم ردّة عن الإسلام ، ولا يجوز استرقاق من لم يكفر.

وبعد لو أبحت لكم النساء : أيّكم يأخذ عائشة في سهمه ؟ فخجل القوم من هذا ، ثمّ قالوا له : نقمنا عليك محو امرأة أمير المؤمنين على اسمك في الكتاب بينك وبين معاوية لمّا نازعك معاوية في ذلك ، فقال فعلت مثلما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم الحديبية حين قال له سهيل بن عمرو : لو علمت أنّك رسول الله لما نازعتك ، ولكن اكتب باسمك واسم أبيك ، فكتب : هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الله وسهيل بن عمرو ، وأخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ لي منهم يوما مثل ذلك ، فكانت قصّتي في هذا مع الأبناء قصّة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الآباء ، فقالوا له : فلم قلت للحكمين إن كنت أهلا للخلافة فأثبتاني ، فإن كنت على شكٍّ من خلافتك فغيرك بالشّكٍّ فيه أولى ؟ فقال : إنّما أردت بذلك النَّصَفَةُ لمعاوية ولو قلت : للحكمين احكما لي بالخلافة لم يرض بذلك معاوية ، وقد دعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نصارى نجران إلى المباهلة وقال لهم : (( تعالَوْا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين )) فأنصفهم بذلك عن نفسه .

ولو قال : أبتهل فأجعل لعنة الله عليكم ، لم يرض النّصارى بذلك ؛ لذلك أنصفت أنا معاوية من نفسي ، ولو أدر غدر عمرو بن العاصّ ، قالوا : فلم حكمت الحكمين في حقّ كان لك ؟ فقال : وجدت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد حكّم سعد بن معاذ في بني قريضة ، ولو شاء لم يفعل ، وأقمت أنا أيضا حكمًا لكن حَكَمُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حكَمَ بالعدل وحكمي خُدِعَ حتّى كان من الأمر ما كان ، فهل عندكم شيء سوى هذا ؟ فسكت القوم " أنظر البغدادي الفرق بين الفرق : ص 36-37 .

1. -أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الجزء الأول ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت ، دون طبعة ، سنة 1990، ص27. [↑](#footnote-ref-2)
2. - ابن كثير ، البداية والنهاية ، اعتنى به حسان عبد المنان ، الجزء الأول ، بيت الأفكار الدولية لبنان 2004 ، دون طبعة ص1160 [↑](#footnote-ref-3)
3. - سورة الحجرات الآية 9. [↑](#footnote-ref-4)
4. - أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ص64. [↑](#footnote-ref-5)
5. - محمد سليم العوا ، المدارس الفكرية الإسلامية من الخوارج إلى الإخوان المسلمين ، الشركة العربية للأبحاث والنشر بيروت ، الطبعة الأولى 2016، ص53. [↑](#footnote-ref-6)
6. - البغدادي ، الفرق بين الفرق ، دار الجوزي القاهرة ، ط1. 2014،ص35. [↑](#footnote-ref-7)
7. -انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ص1152. [↑](#footnote-ref-8)
8. - محمد سليم العوا، المدارس الفكرية الإسلامية من الخوارج إلى الإخوان المسلمين. [↑](#footnote-ref-9)
9. - البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص34 [↑](#footnote-ref-10)
10. -نفسه ، ص10. [↑](#footnote-ref-11)
11. - ابن كثير ، البداية والنهاية ،ص1105. [↑](#footnote-ref-12)
12. - الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ،مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ،ص ص63،64. [↑](#footnote-ref-13)
13. - المصدر نفسه ، ص 167-168. [↑](#footnote-ref-14)
14. - البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص 34. [↑](#footnote-ref-15)
15. - محمد جواد مغنية ، معالم الفلسفة الإسلامية ، مكتبة الهلال بيروت الطبعة الثانية 1982 ،ص 149 [↑](#footnote-ref-16)
16. - البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص 10. [↑](#footnote-ref-17)
17. - محمد سليم العوا ، المدارس الفكرية الإسلامية من الخوارج إلى الإخوان المسلمين ، ص 55. [↑](#footnote-ref-18)
18. - الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ص17. [↑](#footnote-ref-19)